

الوافي في الوفيات

والمحلى وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المطفري وغير ذلك وصنف عيونه السير في فنون المغازي والشمال والسير سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سماه نور العيون وسمعت من لفظه وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة وسمعت من لفظه والنفخ الشذي في شرح جامع الترمذي ولم يكمل جمع فأوعى وكان قد سماه العرف الشذي فقلت له سمعته بالنفخ الشذي ليقابل الشرح بالنفخ فسماه كذلك وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقرأته عليه بلفظي ومنح المدح وسمعت من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبير والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه أصفه : المحلى وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المطفري وغير ذلك وصنف عيونه السير في فنون المغازي والشمال والسير سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سماه نور العيون وسمعت من لفظه وتحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة وسمعت من لفظه والنفخ الشذي في شرح جامع الترمذي ولم يكمل جمع فأوعى وكان قد سماه العرف الشذي فقلت له سمعته بالنفخ الشذي ليقابل الشرح بالنفخ فسماه كذلك وكتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب وقرأته عليه بلفظي ومنح المدح وسمعت من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبير والمقامات العلية في كرامات الصحابة الجليلة وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه أصفه : .

لي صاحب يتمنى لي الرضا أبداً ... كأنا يختشي صدى وهجراني .

ويغلب النظم ألفاظاً يفوه بها ... فما يكلمني إلا بميزان .

وكتب بالمغربى طبقة كما كتب بالمشرقى وكانت بيني وبينه مكاتبات كثيرة نظماً ونثراً يضيق عنها هذا المكان لكن أورد منها شيئاً وهو ما كتبه إلي وأنا بصدد سنة أربع وثلاثين وسبع مائة .

سررتم فإني بعدكم غير مسرور ... وكم لي على الإطلاق وقفة مهجور .

ولا حس إلا حس داعية الصدى ... ولا أنس إلا أنس عيس ويعفور .

فيا وحدة الداعي صداه جوابه ... ويا وحشة الساعي إلى غير معمو .

إذا قلت سيري قال سيري محاكياً ... وإن قلت زوري قال لي مثلها زوري .

وما سرني بالقرب إني استزرتها ... ولا ساءني بالبعد قولي لها سيري .
فيا ويح قلب كم يعّ المنى ... غلالة دنيا استعبدت كل مغرور .
تواصل وصل الطيف في سنة الكرى ... ولست إذا استيقظت منه بمحبور .
وتدنو دنو الآل لا ينقع الصدى ... وتخلب آمالاً بخلبها الزور .
تنيل المنى من سالمته خديعة ... وتعقب من نيل المنى كل محذور .
فدعها وثق باّ فافّ كافل ... برزقك ما أبفاك وأرض بمقدور .
وكن شاكراً يسراً وبالعرس راضياً ... فأجر الرضى والشكر أفضل مذخور .
فكتبت إليه الجواب عن ذلك : .
هل البرق قد وشى مطارف ديجور ... أو الصبح قد غشي دجى الأفق بالنور .
وهل نسمة الأسحار جرت ذيولها ... على زهر روض طيب النشر ممطور .
وهيهات بل جاءت تحية جيرة ... إلى مغرم في قبضة ابعء مأسور .
أنته وما فيه لعاید سقمه ... سوى آنة تنبث من قلب مصدور .
فلما تهادت في حلى فصاحة ... من النظم عن سحر البلاغة مأثور .
أكب على تقبيلها بعد ضمها ... إلى خاطر من لوعة البين مكسور .
وأجرى لها دمع المآقي ولم يكن ... يقابل منظوماً سواء بمنثور .
فأرشفه كأس السلاف خطابها ... وغاز له من لحظها أعين الحور .
فكم حكمة فيها لها الحكم في النهى ... وكم مثل في غاية الحسن مشهور